مجلة المجمع العلمي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثاني ـ المجلد الثامن والخمسون

١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

قراءة في مشرقية إبن سينا المنطقية

الدكتورة نظلة أحمد الجبوري
رئيس باحثين / قسم الدراسات الفلسفية
بيت الحكمة

الملخص :

يوضح البحث أهمية كتاب (منطق المشرقيين) في نضج التفكير المنطقي السينوي المشرقي . إذ يعدّ دليلا على الإستقلالية الفكرية الفلسفية ــ المنطقية التي إمتاز بها إبن سينا عن الفلسفة الأرسطية المشائية والمنطق الأرسطي .

المقدمة :

ــ ١ــ : يعدّ كتاب (منطق المشرقيين)[1] لإبن سينا من الأهمية بوصفه يكشف عن بلورة الفكر المنطقي للشيخ الرئيس إبن سينا في صورته النهائية . إذ أوقفه كله على بيان نظريته في موضوع واحد محدد وهو (علم المنطق) حيث يقول : " العلم الذي يطلب ليكون آلة – قد جرت

---

[1] إعتمدت في قراءتي لكتاب (منطق المشرقيين) للشيخ الرئيس إبن سينا على نشرتين : نشرة المكتبة السلفية ، منطق المشرقيين والقصيدة المزدوجة في المنطق ، القاهرة ١٩١٠ وتقع في ٨٣ صفحة وبحجم متوسط ؛ ونشرة دار الحداثة ، منطق المشرقيين ، بيروت ١٩٨٢ ، وتقع في ١٤١ صفحة وبحجم صغير . على أنني لم اغفل أهمية المؤلفات السينوية كـ (الشفاء) و(النجاة) و (الإشارات والتنبيهات) و(رسالة الحدود) ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات في دعم البحث وإغناء مضمونه .

العادة ... أن يسمى (علم المنطق) ... وإنما يكون هذا العلم آلة في سائر العلوم – لأنه يكون علما منها على الأصول التي يحتاج كل من يقتنص المجهول من المعلوم بإستعمال للمعلوم على نحو وجهة يكون ذلك النحو وتلك الجهة مؤديا بالباحث الى الإحاطة بالمجهول ، فيكون هذا العلم مشيرا الى جميع الأنحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم الى المجهول . كذلك يكون مشيرا الى جميع الأنحاء والجهات التي تضل الذهن وتوهمه إستقامة مأخذ نحو المطلوب من المجهول ولا يكون كذلك " .[٢]

لذا تجاوز كتاب (منطق المشرقيين) في قيمته ، من حيث الدقة ، محاولات إبن سينا غير المتخصصة في تناول (علم المنطق) في مؤلفات لم تكتب لهذا الغرض بالذات . إذ إن مؤلفات إبن سينا السابقة على هذا الكتاب كـ (الشفاء) و(النجاة) و(الإشارات والتنبيهات) من حيث الموضوعية ، شاملة لآرائه في الطب والفلسفة والعلم والمنطق ، وتنوعت مصطلحاتها بتنوع العلوم ، من دون منهجية في ترتيب الموضوعات التي يتطرق إليها إستطرادا أو قصدا .

وكذلك يعدّ كتاب (منطق المشرقيين) تعديلا ، بل إستقلالا لرأي إبن سينا في المنطق ، ونهجا خاصا له خالف فيه المعلم الأول (أرسطو طاليس) في هذا العلم . حيث يقول : " فقد نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاما فيما إختلف أهل البحث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف ، ولا نبالي من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو

---

[٢] إبن سينا ، منطق المشرقيين ، نشرة : المكتبة السلفية ، ص ٥ ــ ٦ ؛ ونشرة : دار الحداثة ، ص ٢٤ .

كتب اليونانين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا في كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين الظانين إن الله لم يهد إلاّ إياهم " .[٣]

لكن مع هذا النهج المتفرد لإبن سينا فإنه لم ينكر فضل أرسطو طاليس في تنبيه الأذهان الى علم المنطق " وفي تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفي ترتيبه العلوم .. وفي إدراكه الحق في كثير من الأشياء ، وفي تفطنه لأصول صحيحة سرية في أكثر العلوم ، وفي إطلاعه الناس" [٤] عليه ، بل إن إبن سينا نراه يعيب على من يتعصب لمنطق أرسطوطاليس ويقصر تفكيره عليه من دون أن يراجع فيه عقله ، حيث يقول : " ويحق على من بعده أن يسلموا شعثه ، ويرموا ثلما يجدونه فيما بناه ، ويفرعوا أصولا أعطاها .[٥]

ــ ٢ــ : وأكتفي هنا بإيراد مثلين عن رأي إبن سينا الجديد كما وردا في (منطق المشرقيين) على سبيل الذكر لا الحصر ، وهما نظريته في (التعريف) ونظريته في (اللواحق واللوازم) ، اللتين ألمح فيهما مخالفته للكثير من مفاهيم أرسطوطاليس . إذ إن إبن سينا كان قد بسّط نظرية التعريف في كتابه (الشفاء)[٦] ، ثم لخصها في كتابه

---

[٣] أيضا ، ص ٢ ؛ وص ١٩ .

[٤] أيضا ، ص ٢ ؛ و ص ١٩ ــ ٢٠ .

[٥] أيضا ، ص ٢ ــ ٣ ؛ وص ٢٠ .

[٦] للتفصيلات ، أنظر : إبن سينا ، البرهان (من كتاب الشفاء) ، نشرة : عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٤ ، المقالة الرابعة ، الفصل السادس ، ص ٢٣٣ ــ ٢٣٧ .

(النجاة)[٧] وهو في كليهما يتابع أرسطوطاليس . لكنه عاد فأجرى تعديلا على نظريته في (منطق المشرقيين) .

إن التعريف لدى أرسطوطاليس يعتمد القسمة والتركيب ، في حين لا يكون التعريف لدى إبن سينا إلاّ بالإستقراء . كما أن الحد التام يصبح لدى أرسطوطاليس هو التعريف الحقيقي التعييني القائم على الذاتيات ، وهو ما يعبر عن " الماهية"[٨] ؛ في حين أن الحدود الحقيقية لدى إبن سينا كما وردت في كتابه (منطق المشرقيين) " تصنع من شرائط الماهية ومقوماتها ، لا من شرائط الوجود ومقوماته "[٩] . فأتبيّن ، وجود تقابل بين الماهية والوجود ، على وفق ما أشرت إليه ، أي ، التعريف بالماهية .

أما نظرية إبن سينا في (اللواحق واللوازم) فهي كما عبّر عنها في كتابه (منطق المشرقيين) إن " الشيء قد يكون له إعتبار بذاته ، وقد يكون له إعتبار بحسب حاله من عارض ولازم ".[١٠]

فبدأ يتابع بكل دقة " لواحق الأشياء " مقررا بأن التعريف الذي يعتمد على اللواحق ، ينظر الى الوجود الفعلي للأشياء ، بإعتبار أن " اللوازم هي المقومات للوجود " " وإذا كان الرسم مأخوذا من اللوازم التي هي المقومات للوجود ، وإن لم يكن للماهية والمفهوم ، وكان من

---

[٧] للتفصيلات ، أنظر : إبن سينا ، النجاة ، نشرة : محيي الدين صبري الكردي ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٧٦ ــ ٨٣ .

[٨] للتفصيلات ، أنظر : إبن سينا ، البرهان ، نشرة بدوي ، ص ٩ ــ ٤٤ .

[٩] إبن سينا ، منطق المشرقيين ، (نشرة المكتبة السلفية) ، ص ٤٤ ؛ و(نشرة دار الحداثة) ، ص ٨٤ .

[١٠] أيضا ، ص ٣٢ ؛ وص ٨٤ .

الجنس الثاني ، فقد تدخل فيه اللوازم في الوجود من العلل والمعلومات التي هي لوازم ولواحق في الوجود ، إن لم تكن الماهية والمفهوم "[١١].

وهذا الضرب من التعريف المسمى رسما لا يكون إلاّ بالاستقراء .

وجديرا بالذكر إن إبن سينا كان قد وعد بإنجاز كتاب عن (اللواحق) بعد كتابه (الشفاء) في علم المنطق ، حيث قال : " وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في " كتاب الشفاء" ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم ، وسنعطيهم في اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه ."[١٢]

ولكن إبن سينا لم يستطع إخراج كتاب (اللواحق) كما وعد ، ومع هذا يمكن إعتبار كتاب (منطق المشرقيين) مقدمة لذلك الكتاب الذي تحدّث فيه عن بعض من أفكاره وحقق بعضا من أمانيه عن (اللواحق).[١٣]

ـ ٣ ـ : ومن الضروري قبل تحديد مواطن الإبداع والتجديد المنطقي لإبن سينا كما ترد في كتابه (منطق المشرقيين) ، أن أناقش مسألة مكانة كتاب (منطق المشرقيين) الزمنية والفكرية وإسلوب إبن سينا فيه بين مؤلفاته الأخرى ، كـ : (كتاب الشفاء) و(كتاب النجاة) و(كتاب الإشارات والتنبيهات) ومكانتها الزمنية والفكرية وإسلوب إبن سينا فيها جميعا .

لقد بدأ إبن سينا تأليف كتاب (الشفاء) في أثناء إقامته في همدان ، بين سنتي ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م و٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ؛ ثم أنجزه في

---

[١١] أيضا ، ص ٣٩ ؛ وص ٧٦ .

[١٢] أيضا ، ص ٤ ؛ وص ٢٢ .

[١٣] أيضا ، ص ٤ ؛ وص ٢٢ .

أصفهان ، بإتمامه المنطق منه بعد الطبيعيات والإلهيات ، فألف كتاب (النجاة) وهو ملخص كتاب (الشفاء) ، فقد تمّ تأليفه بعده .

يتضح " أن إبن سينا بدأ تأليفه الشفاء وسنه حوالي الأربعين (ولد سنة ٣٧٠ هـ / ١٠٣٧ م) ؛ وقد بلغ من التعمق في الفلسفة ما أباح له تأليف كتاب الشفاء دون الرجوع الى مصادره الفلسفية " .[١٤]

أما كتاب (الإشارات والتنبيهات) فإنه يعدّ من الكتب التي ألفها في الفترة الأخيرة من حياته " وهي آخر ما صنّف في الحكمة واجوده وكان يظن بها "[١٥] بدلالة ما يتمتع به من إسلوب متقن ولغة مهذبة قوية ، وسبب ذلك أن إبن سينا درس الأدب العربي فيما بعد سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣ م ، وعمره ناهز الخامسة والأربعين .[١٦]

وإذا أخذت بنظر الإعتبار الفترة الزمنية التي ألّف فيها إبن سينا كتابه (الشفاء) وهي تحديدا ست سنوات للفترة المنحصرة بين سنتي (٤٠٨ هـ و٤١٤ هـ) قياسا للمدة التي يستغرقها في تأليف كتاب موسوعي ، كموسوعة الشفاء ، مع إنشغاله بالوزارة وتدبير شؤون الدولة بكل ما يتطلبه هذا الأمر من وقت وجهد . أمكنني أن أستنتج أن الفترة الزمنية التي أنجز فيها كتاب (الإشارات والتنبيهات) وهو كتاب موسوعي

---

[١٤] الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، إبن سينا ، القاهرة (د.ت) ، ص ١٧ .

[١٥] أنظر : إبن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، نشرة : الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت) ، ج٢ ، ص ١٨ .

[١٦] أنظر : حسين نصر ، ثلاثة حكماء مسلمون ، بيروت ١٩٧١، ص ٣٧ ؛ وللمقارنة ، أنظر : الدكتور عبد المير الأعسم ، المصطلح الفلسفي عند العرب ، ط١ ، مكتبة الفكر العربي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٦٥ .

آخر على غرار الشفاء ــ على الرغم من أنه لا يضاهي الشفاء في عدد مجلداته ــ لا تقل عن ثلاث أو أربع سنين . وبما أنه قد درس الأدب العربي فيما بعد سنة ٤١٤ هـ وعمره ناهز الخامسة والأربعين ، مع ما يحتاج إليه من فترة لإستيعابه وتمثله والإستزادة من الدرس به . وإذا كان له هذا ، في مدة سنة على سبيل التحديد والحصر ، لما يتمتع به إبن سينا من ذكاء نادر ، صح ما ذهبت إليه من أنه قد ألف كتابه (الإشارات والتنبيهات) بين سنتي (٤١٦ هـ و ٤٢٠ هـ) .

على أن إبن سينا ذاته يتحدث في مطلع كتابه (منطق المشرقيين) ــ وهو الجزء الخاص بمنطق الحكمة (الفلسفة) المشرقية لإتجاه إبن سينا البحث في فلسفته ما بعد تأليفه الشفاء ، الذي وصل الينا دون الأجزاء الأخرى التي هي الطبيعيات والرياضيات والإلهيات . بإعتباره يحتوي على الأجزاء الأربعة للفلسفة كسائر كتب إبن سينا الشاملة كالشفاء والنجاة ــ [١٧] بإشارات إعتمدت عليها في إقامة إستنتاجي الذي مؤداه إن كتاب (منطق المشرقيين) آخر ما ألّف إبن سينا من كتب ، وليس كتاب (الإشارات والتنبيهات) سالف الذكر ، فيما إذا أغضضت النظر عن كتاب (اللواحق) الذي وعد إبن سينا بإخراجه زيادة على ما عرف من علم المنطق لمن يريد الإستزادة فيه ، ولكنه لم ينجزه كما وعد .

ومن الإشارات الواضحة التي ترد في هذا الصدد ، قوله : " لكنكم أصحابنا تعلمون حالنا في أول أمرنا وآخره وطول المدة التي بين حكمنا

---

[١٧] أنظر : جورج شحاته قنواتي ، مؤلفات إبن سينا ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٢٦ .

الأول والثاني "[18] وقوله: " أحببنا أن نجمع كتابا يحتوي على أمهات العلم الحق "[19] ، وقوله : " وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلاّ لأنفسنا ــ أعني الذين يقومون منا مقام أنفسنا ــ وأما العامة ... فقد أعطيناهم في " كتاب الشفاء " ما هو كثير لهم ، ... وسنعطيهم في اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه " [20]. إن بيان صحة إستنتاجي يدعوني الى إيضاح أقوال إبن سينا وتفسيرها لمعرفة ما تنطوي عليه من جوانب تعزز ما ذهبت إليه .

حيث أفهم من قوله الأول ما يدل على تغيّر تفكيره المنطقي وتطوره ونضجه بين فترة الحداثة وفترة الكبر والنضج ، مما ينعكس على أفكاره وأحكامه المنطقية التي سطرّها في بدايات تفكيره المنطقي ، التي أطلق عليها بالحكم الأول ، ونضج أفكاره وأحكامه المنطقية التي عبّر عنها من خلال (منطق المشرقيين) فكان نهجه فيه سينويا بحتا بعيدا عن تأثير المنطق الأرسطي والفكر المشائي بل خالف فيه منطق أرسطوطاليس وشق عصا الطاعة عليه . وهو ما يعبر عنه بالحكم الثاني . ولي أن أبيّن الفترة الزمنية الطويلة التي مرّ بها إبن سينا لإنضاج فكره المنطقي ووضعه منطقا خاصا به عرف بـ (منطق المشرقيين) . في حين ينطوي قوله الثاني على تأكيد نهجه الخاص المستقل في علم المنطق برغبته في وضع

---

[18] إبن سينا ، منطق المشرقيين ، (نشرة المكتبة السلفية) ، ص ٤ ؛ و(نشرة دار الحداثة) ، ص ٢١ ــ ٢٢ .

[19] أيضا ، ص ٤ ؛ وص ٢٢

[20] أيضا ، ص ٤ ؛ وص ٢٢

كتاب مستقل وبمنهج جديد يضمّ أهم مسائل هذا العلم . وبالتأكيد لن يتسنى له ذلك لو لم يكن قد إطلّع على منطق أرسطوطاليس ومنطق الفارابي ، ولو لم يكن قد إستوعبه وفهمه بشكل يعكس قدرة إبن سينا الهائلة على الإستيعاب والفهم ، ولو لم يكن قد وقف عليه فترة طويلة حتى تبلور لديه نهجه المنطقي الخاص به في (منطق المشرقيين).

وأما قوله الثالث فيتبيّن منه إن إبن سينا قد ألّف كتاب (منطق المشرقيين) حين أدرك الضرورة الى إخراجه وحاجة من هم بقدره مكانة وعلما وفكرا وإستيعابا ونضوجا أي للمقربين منه الذين تعدّ منزلتهم لديه كنفسه أو هم الخاصة أو خاصة الخاصة . حيث خصّ لهم هذا الكتاب دون العامة من طالبي علم المنطق .

ومن ثمّ فإن شعور إبن سينا بهذه الضرورة في تأليف كتاب بهذه المواصفات التي مرّ ذكرها لابد أنه قد أدرك معه أنه قد قرب من خاتمة حياته ، التي أثقله فيها المرض ليترك آخر تأليفاته في المنطق ، وليبيّن نهجه فيه بإعتباره طريقا يجب أن يعرف ، وليتضح من خلاله منطقه ، المنطق السينوي تحديدا وإتجاها ومنهجا .

وفضلا عما تقدم يمكنني القول : إن إبن سينا قد ألّف (منطق المشرقيين) في السنوات الأخيرة المتبقية من حياته جزءً من مؤلفه الكبير المفقود (الحكمة(الفلسفة)المشرقية) بين سنوات (٤٢١ هـ و٤٢٦هـ). إذا أخذت بإعتباري مرض القولنج الذي أصيب به إبن سينا في أثناء خروجه مع (علاء الدولة) لفتح (همدان) ، حيث إشتد عليه أواخر حياته ؛ أبسط إفتراض للسنة أو للسنتين الأخيرتين من حياته – ومن الطبيعي أن ينشغل

إبن سينا عن التأليف والكتابة بمرضه وكيفية علاجه ــ مؤديا الى وفاته سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م ، وله من العمر ثمان وخمسون عاما .[٢١]

ــ ٤ــ : أما إسلوب إبن سينا في كل مؤلفاته الفلسفية فلا يعدّ واحدا ، " فقد كان في آثاره المبكرة صعبا ، تعوزه السلاسة الى حد ما " [٢٢]؛ لذا أجد " أن كتبه الأولى أقل وضوحا من كتبه المتأخرة " [٢٣] . والسبب يعود الى دراسة إبن سينا للأدب العربي فيما بعد سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م ، وقد ناهز عمره الخامسة والأربعين ، الذي أدى به الى تهذيب إسلوبه وإتقانه ، حيث تشهد له مؤلفاته التي أنجزها في الفترة الأخيرة من حياته كـ (الإشارات والتنبيهات) و (منطق المشرقيين)[٢٤] . وبمعنى آخر فإنني ألاحظ " أن كتاب الإشارات والتنبيهات يتفوق على كل مؤلفات إبن سينا في الإسلوب ، لأنه من كتبه المتأخرة ، وأن كتاب النجاة ذو إسلوب أجود من كتاب الشفاء ، لأنه كتب بعده ، وكلاهما أفضل من كتبه المبكرة ".[٢٥]

---

[٢١] أنظر : إبن حجر أحمد بن محمد الشافعي العسقلاني ، لسان الميزان ، ط١ . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند (د.ت) ، ج٢ ، ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ ؛ وإبن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٤ ؛ وإبن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد ، وفيات الأعيان ، نشرة : إحسان عباس ، بيروت (د.ت) ، ج٢ ، ص ١٥٩ ــ ١٦١ .

[٢٢] نصر ، ثلاثة حكماء مسلمون ، ص ٣٧ .

[٢٣] تيسير شيخ الأرض ، إبن سينا ، دار الشرق الجديد ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٧٩.

[٢٤] أنظر : نصر ، ثلاثة حكماء مسلمون ، ص ٣٧ .

[٢٥] الأعسم ، المصطلح ، ص ٦٦ ح وللمقارنة ، أنظر : شيخ الأرض ، إبن سينا ، ص ١٧٨ و ١٨٠ .

يتبين مما تقدم إن إسلوب إبن سينا يتراوح بين " الإسلوب المتداخل المعقد في الشفاء " و" بين الإسلوب المبسط الواضح في الإشارات والتنبيهات " .[٢٦]

وإذا ذهبت أبعد في تطبيق ما ذكرته عن أفكار إبن سينا ذاتها بنموذج مختار ، كنظرية التعريف مثلا ، يظهر لي أن نظرية التعريف السينوية غير واضحة في رسالة الحدود " وضوحها في الشفاء ، أو النجاة ؛ تبعا لنظرية الحدود الأرسطية ، كما إنها لا تنسجم مع نظرية إبن سينا في التعريف التي بسطها في منطق المشرقيين ، وهو من كتبه الأخيرة التي ألمح فيها نظرية الحدود "[٢٧] . مما يكشف أيضا عن مسألة مهمة ألا وهي أن إبن سينا في مؤلفاته الأولى " كان أقرب الى التقرير منه الى التنظير ، على نحو لا نجده في كتبه الوسطى ، وكتبه المتأخرة " .[٢٨]

أما إسلوب إبن سينا في كتابه (منطق المشرقيين) فيمكن النظر إليه من خلال بعدين : البعد اللغوي والبعد الفكري ، علما أن إبن سينا يمتاز بقدرته على التوضيح والبيان والدقة في تقرير المطلوب ، وعلى التحليل وطول النفس تارة ، وكثرة الإستطراد تارة أخرى .

---

[٢٦] الأعسم ، المصطلح ، ص ٦٦ .

[٢٧] أيضا ، ص ٦٦ ؛ وللإطلاع على تفصيلات نظرية التعريف عند إبن سينا وتطورها في مؤلفاته ، أنظر : الجدل (من كتاب الشفاء)، نشرة : د. أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ، ص ٢٤١ ــ ٢٩٠ ؛ وله أيضا ، النجاة ، ص ٧٦ ــ ٨٥ ؛ وله أيضا ، منطق المشرقيين (نشرة المكتبة السلفية) ، ص ٢٩ ــ وما يليها ؛ و(نشرة دار الحداثة) ، ص ٦٠ ــ وما يليها .

[٢٨] الأعسم ، المصطلح ، ص ٦٦

يتضح البعد (الإسلوب) اللغوي في كتاب (منطق المشرقيين) وهو كما ذكرت من كتب إبن سينا المتأخرة ، عبر ما يمتاز بـه مـن متانـة عباراته ، ووضوح ألفاظه . وقوة بيانها حتى بلغ إسلوب إبن سينا اللغوي فيه من قوة التعبير والدلالة ما لم يكن لمؤلفاته الأخرى من قبل .

إن الحكم العام الذي أطلقته على إسلوب إبن سينا اللغوي يمكـن أن أطلقه على إسلوبه الفكري في (منطق المشرقيين) حيث يمتاز بالوضوح ، والإبتعاد عن إستخدام الإستطرادات ، أو اللجوء الى الجمل الإعتراضـية الطويلة ، أو تفريع البحث عن طريق (إما ..... وإما ....) التي لا تنتهي إلاّ بعد تفريعات كثيرة متلاحقة ، مما يجعل أمر متابعته في تفكيره علـى قدر من الصعوبة ، كما هو حال مؤلفاته الأخرى كالشفاء والنجاة .

على أن كتاب (منطق المشرقيين) يمتاز بأنه قد إمتزجت فيه عبقرة إبن سينا العلمية مع نضجها الفلسفي مما إنعكس إيجابيا على إسلوبه فيه ، حتى صار غنيا بصفاء العبارة ووضوحها وقوة تعبيرها ودلالتها .

ـ ٥ ـ : ذكرت إن إبن سينا قد ألّف في أواخر حياته كتاب الحكمة (الفلسفة) المشرقية الذي لم يصل منه سوى المنطق والمسمى بـ (منطق المشرقيين) ، على أن تسميات (المشرقية) و (المـشرقيين) قـد أثـارت الجدال والنقاش الطويلين بين المفكرين والباحثين ، فقد ذهب بعضهم الى تسمية (المشرقية) تعبير دقيق على (حكمة الإشراق) ، إذن فكتاب الحكمـة المشرقية هو كتاب في التصوف ؛ في حين يذهب بعـضهم الآخـر مـن المفكرين كـ : (جورج شحاتة قنواتي) و (الدكتور عبد الأمير الأعـسم)

الى إعتباره كتابا خاصا بفلسفة المشرقيين المقابلة لفلسفة المغـربيين [٢٩]. وهو الرأي الصحيح الذي أتفق فيه مع هذين الباحثين ، وقد إعتمدت فـي إستنتاجي هنا على حقيقة وإشارة .

أما الحقيقة التي اتخذتها محورا لتأييد رأيي فهي التي تقرر أن بغداد (مدينة السلام) كانت عاصمة الحضارة العربية الإسلامية الممتـدة شـرقا وغربا في زمن دولة بني العباس ، فهي مركز الآداب والعلـوم والإلتقـاء الثقافات وهي مركز إشعاع الحضارة والثقافة والفكر طوال حكـم الدولـة العباسية إبتداءً من حكم المنصور حتى سقوطها عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، على الرغم من ترك هذا الخليفة العباسي أو ذاك مدينة بغداد (دار السلام). فالتاريخ يذكر أن هارون الرشيد غادرها الى الرقة ، وغادرهـا عبـد الله المأمون الى مرو في خراسان ، وغادرها المعتصم بعد أن بنى سـامراء . لكن هذا لم يؤثر في مكانة بغداد بإعتبارها عاصمة الخلافة العباسية ، ولا بإعتبارها حاضرة العلم والثقافة والحضارة ، بل بقيت حتى فـي فتـرات الحكم الأجنبي ، وهي فترات ضعف الخلافة العباسية ، عاصمة ذات مكانة وتأثير ، فكانت عاصمة السلاجقة والبويهيين . وإذا كانـت لبغـداد هـذه المكانة فلابد أن يظهر فيها الفلاسفة والمدارس الفلسفية بمختلف إتجاهاتها من جهة ، وتعدّ مركزا ينظر من خلاله الى ما يحيطها شرقا وغربا مـن مدارس وإتجاهات فلسفية ، من جهة أخرى ، كان يقال شرق بغداد الـذي توجد فيه مدرسة بلخ الفلسفية أو يقال غرب بغداد حيث مدرسة الفـارابي الفلسفية المنطقية .

---

[٢٩] أنظر : قنواتي ، مؤلفات إبن سينا ، ص ٢٦ ؛ والأعسم ، المصطلح ، ص ٦٩ .

وأما الإشارة التي إعتمدتها فهي التي ينطوي عليها كتاب إبن سينا (منطق المشرقيين) ذاته ، فهو يقول : " ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذي يسميه اليونانيون (المنطق) ـــ ولا يبعد أن يكون له عندالمشرقيين إسم غيره ــ حرفا حرفا ..."[٣٠] وقوله : " وبئس ما فعل المغربيون حين إعتبروا ــ في تناقض الضروريات والممكنات ــ الجهة ولم يعتبروا في المطلقة" .[٣١]

إن لفظة المشرقيين تقع متقابلة مع لفظة المغربيين كما يتضح في نصوص إبن سينا ، ودلالة المشرقيين هي مدرسة إبن سينا المنطقية ودلالة المغربين هي مدرسة الفارابي المنطقية ، والأولى تقع شرق بغداد في حين تقع الثانية غرب بغداد . كما يفهم من هذه الدلالات أيضا بوجود مدرسة منطقية في بغداد ذاتها تسمى بـ (مدرسة بغداد المنطقية) ومن أبرز رجالها : السجستاني ، ويحيى النحوي ، وأبو بشر متى بن يونس القنائي ، وإبن زُرعة . وهم من شرّاح المنطق الأرسطي .

ــ٦ــ : وأصل ، الآن ، الى وصف محتوى كتاب (منطق المشرقيين) الذي جاء مشتملا على مقدمة وفصلين ، الفصل الأول في ذكر العلوم ، والفصل الثاني في علم المنطق . فالكتاب إذن ، من الناحية الفنية يحتوي على :

---

[٣٠] إبن سينا ، منطق المشرقيين ، (نشرة المكتبة السلفية)، ص ٣ ؛ و(نشرة دار الحداثة) ، ص ٢٠ .

[٣١] أيضا ، ص ٧٨ ؛ وص ١٣٣ .

مقدمة الكتاب .

الفصل الأول . يذكر فيه المؤلف نظرته الى تقسيم العلوم متدرجا فيها من الأعم الأشمل الى الخاص المحدد ، وجاء هذا التقسيم مرتبا ترتيبا منسقاً . وكان إبن سينا قد قصد إحصاء هذه العلوم ليحدد مكانة علم المنطق بينها ، جاعلا إياه آلة لسائر العلوم . فالمنطق كما يريد إبن سينا هو (العلم الآلي).

الفصل الثاني . يذكر فيه المؤلف التفاصيل التي ينطوي عليها هذا العلم الآلي (المنطق) جاعلا إياها في مقالتين ، المقالة الأولى في مقدمات التصور ، والمقالة الثانية في التصديق .

خاتمة قصيرة ، سريعة ، تفصح عن مراد الناسخ الذي نسخ كتاب (منطق المشرقيين) وهو عبد الرزاق بن عبد العزيز بن إسماعيل الفارابي الصفناجي عن نسخة الأصل المحفوظة في المكتبة الخديوية . أن يختتم الكتاب بالعبارات الآتية : " وهذا مقدار ما يوجد من هذا الكتاب . والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وعلى آله أجمعين . عورض بالأصل الذي إنتسخ منه بقدر الطاقة والإمكان . ولواهب العقل الحمد بلا نهاية " .

ولو جئت الى تحليل مادة الكتاب ، فلابد لي من الأخذ بالإعتبار بأنه متخصص في القراءة المنطقية على نحو دقيق . فهو إعادة بناء منهج إبن سينا المشائي ، والدفاع عنه في إتجاهه المشرقي ، بل الذي يمكن أن أسميه بالإتجاه السينوي المشرقي بوجه خاص ، حيث تخلص فيه إبن سينا من

الفلسفة المشائية عامة وكسر طوقها الى الأبد متجهـا إتجاهـه السينوي الواضح البحت .

إن ما ذهبت إليه تؤكده مقدمة كتاب (منطق المشرقيين) ذاتها ، فهي تكشف عن الجوانب المهمة التي يتفرد بها ويمتاز من خلالها ؛ فهي تشير الى منهج إبن سينا الخاص في مؤلفه هذا في علم المنطـق ، وإقنـصاره تحديدا على هذا العلم حتى عرف به وإقتـرن بإسـمه فـسمي (منطـق المشرقيين) وهو من جانب اخر ، يكشف أن مدرسة إبن سينا المنطقيـة ، إن جازت لي تسميتها بهذا الاسم ، بإعتبارها نهجا مـستقلا عـن مـنهج أرسطوطاليس المنطقي ومدرسته المشائية التي كان إبن سينا قد تاثر بهـا في مطلع شبابه ومنتصفه وهو يباشر مؤلفاته ويبني فلـسفته . حتـى أن الأوان لكي يستقل إبن سينا فكريا ومنطقيا عن ذلك التـأثير ويخـط لـه الطريق الخاص الذي يظهر واضحا كل الوضـوح فـي كتابـه (منطـق المشرقيين) هذا . إذ أشار الى هذا بقوله : " فقد نزعت الهمة بنا الـى أن نجمع كلاما فيما إختلف أهل البحث فيه . لا نلتفت فيه لفـت عـصبية أو هوى أو عادة أو إلف " بل نلتفت الى تأسيس منهج مستقل ومنطق خاص . وهذا المنطق يقدم للخاصة من الناس لمن هم بمنزلة إبن سـينا ومكانتـه الفكرية والمنطقية . فكان إذن ، منطقا خاصا يكشف عنه إبن سينا لمن هم بمنزلته كما إنكشف له بعد الدرس والتمحيص وطول المـدة . كمـا يعـد (منطق المشرقيين) كتابا يحتوي موضوعات مهمة هي بمثابة أمهات هـذا العلم (المنطق) .

أما الفصل الأول الذي يذكر فيه إبن سينا العلوم مقسما إياها من العام الأشمل نحو الخاص المحدد . ليبيّن مكانة علم المنطق الذي يتفرد هذا الكتاب في البحث عنه وأهميته بصفة كونه علما آليا يستفاد منه في سائر العلوم . تلك العلوم التي يتطلق في قسمتها من نظره فيها الى علوم لا يصلح أن تجري أحكامها الدهر كله ، وعلوم متساوية النسب في جميع أجزاء الدهر . التي يطلق عليها إبن سينا بالحكمة حيث يقسّمها الى أصول وتوابع وفروع . على أن المعروف من العلوم في عصره هي قسمتها الى العلم النظري والعلم العملي .

ففي الوقت الذي يضم العلم النظري (العلم الطبيعي ، والعلم الرياضي ، والعلم الإلهي ، والعلم الكلي) جاعلا لكل قسم منها أربعة علوم . على إن هذا التفصيل هو من وضع إبن سينا إذ لم يكن متعارفا عليه من قبل . يضمّ العلم العملي : الأخلاق وتدبير المنزل وتدبير المدينة والصناعة الشارعة وما تنبغي أن تكون عليه . وهذه أيضا أربعة أقسام للعلم العملي يضعها إبن سينا له كما كانت أقسام أربعة للعلم النظري . على أن إبن سينا يشغل نفسه هنا بإيراد (العلم الآلي) الذي هو (المنطق) تفصيلا .

أما الفصل الثاني الذي هو في علم المنطق بقسميه التصور والتصديق فإنه يضم مبحثين : المبحث الأول في مقدمات التصور ، في حين يضم المبحث الثاني البحث في التصديق . وفي بداية هذا الفصل يوضّح إبن سينا العلاقة بين التصور والتصديق لينتقل منه الى تفصيلات موضوع التصور من خلال أربعة نقاط .

يتناول في النقطة الأولى العلاقة بين المنطق واللغة من خلال إستعارته الألفاظ اللغوية وصبّها في قالب منطقي. فيتناول لبيان تلك العلاقة جملة من الموضوعات الجانبية كاللفظ المفرد والمعنى المفرد ، والكلي والجزئي منتقلا منهما الى بيان حدي القضية المنطقية الموضوع والمحمول ودلالة اللفظ على المعنى مركزا على المحمول متناولا إياه من حيث أصناف دلالة المحمول على الموضوع وأصناف الدلالة على الماهية ثم يفرد الحديث عن المقومات واللازمات والعوارض غير اللازمة وفي اللاحق العام والخاص وفي أصناف تركيبات المعاني المختلفة ، وفي تركيب أحوال المحمولات بإعتبارها موضوعات مهمة لتفصيلات العلاقة بين المنطق واللغة .

في حين يتحدث في النقطة الثانية عن أصناف التعريف ليضع إبن سينا هنا نظريته المنطقية الخاصة في كيفية تحقيق التعريف الذي لا يكون إلاّ بالإستقراء . في حين يتناول في النقطة الثالثة موضوع الحد بشيء من التفصيل .

أما في النقطة الرابعة فيتناول فيها إبن سينا موضوع (الإمتحان) إذ أنه سعى هنا الى إمتحان كل نقطة أو موضوع ، قرّه في النقاط الرئيسة المتقدمة الذكر ، كإمتحان المحمول ، وإمتحان العام ، وإمتحان الذاتي المقوم ، وإمتحان العرضي وإمتحان الحد . وكل ذلك يوضحه إبن سينا بإسلوب متين ولغة قوية وفكر واضح لكي يقرّبها الى الأذهان وليسّهل عملية إستيعابها من دون أن يترك أية واردة أو شاردة فيها بلا إيضاح وتفسير . ليصل إبن سينا بما تقدم الى تعريف الإسم والكلمة والأداة

والقول كحلقة وصل بين مبحث التصور ومبحث التصديق من جهة ، وإستثمار لموضوعات مبحث التصور بصورة شاملة وسريعة ومختصرة ليؤسس عليها مبحثه الجديد من جهة أخرى .

على أنه في جميع ما تقدم من عرض يستعين بإيراد الأمثلة لتقريب المقصود الى ذهن القارىء والسامع والمستزيد من علم المنطق لكل موضوع ، جزئية عرضها ، وكل بقدر من غير إسلوب ممل ولا إختصار مفسد .

أما المبحث الثاني من الفصل الثاني الذي يتناول فيه إبن سينا القول في التصديق فيمكن أن نقسمه الى نقطتين :

النقطة الأولى في أصناف القضايا الذي يضّم البحث فيه القضية وأحكامها من حيث الصدق والكذب وأنواعها من حمليّة وشرطية وأقسام هذه الشرطية من منفصلة ومتصلة . ذاكرا تعريف كل قضية منها مع إيراد الأمثلة عنها والإشارة إليها بالصياغة الرمزية . حيث يفصّل إبن سينا تلك القضايا بشكل مبسط وواضح ومتكامل من خلال تحقيق موضوعاتها ومحمولاتها وأنواعها من القضية الحمليّة كالإيجاب والسلب من جهة . والكلي الموجب والسالب والقضيتين الجزئيتين وما يلحق من القضايا الزوائد من جهة أخرى . وفي الوقت ذاته لم يغفل عن تحقيق المقدمة المطلقة والمقدمة الممكنة .

وتتناول النقطة الثانية موضوع التناقض حيث يعرّفه ويذكر أنواعه وقضاياه . ويقدم بعد ذلك نقائض لجميع القضايا التي تناولها في النقطة الأولى (في أصناف القضايا) بعد تعريفها وبيان أحكامها وصياغتها رمزيا

وتقديم الأمثلة لتوضيحها . فهو يذكر على سبيل المثال لا الحصر نقيض المطلقة العامة الأولى إذا كانت موجبة كلية ، ونقيض اللازمة المشروطة إذا كانت كلية موجبة ، ونقيض الكلية الموجبة الوقتية ونقيض الموجبة المطلقة الجزئية .

ـ٧ـ : وبعد كل ما تقدم ، ليس من العسير عليّ أن أتصوّر المدى الذي يحتله كتاب (منطق المشرقيين) في نضج التفكير المنطقي السينوي بوجه عام ، وفي إنضاج المنطق المشرقي بوجه خاص . فالكتاب خير دليل للإستقلالية الفكرية التي يمتاز بها فيلسوف كبير من فلاسفتنا العرب الكبار كإبن سينا في المنطق ولمنهجه الجديد الذي رفد فيه تراثنا الفلسفي العربي على نحو لا نجد له نظيرا فيما بعد .

وإنني أمل أن يفتح بحثي هذا ، المنافذ للدارسين لإستكمال ما فاتني بحثه ، وما غاب عني تفصيله ؛ في الكشف عن الأسس المنطقية الأولى لتفكير إبن سينا في مؤلفاته المنطقية السابقة على منطق المشرقيين ولمتابعة تطور تفكيره المنطقي ، هذا التطور الذي وجد مداه في النضج عبر (منطق المشرقيين) ؛ وفي بيان تأثير إبن سينا المنطقي بشكل عام ومنطق المشرقيين بشكل خاص في الفلاسفة العرب المسلمين من أمثال : الغزالي وإبن رشد وغيرهم ؛ من دون إغفال للدراسة المقارنة لمنطق إبن سينا بشكل عام مع منطق أرسطوطاليس من أجل الوقوف عند معالم التميز والإبداع والإبتكار في المنطق السينوي ولا سيما في بلورته الأخيرة عبر كتاب (منطق المشرقيين) .